

ثورة القبائل الليبية في مدينة لبدة الكبرى وامتدادها ضد الوجود البيزنطي في زمن الإمبراطور جستنيان (527 - 565م)

أ. عياد مصطفى محمد اعبيليكة
قسم التاريخ/ كلية الآداب/ الخمس/ جامعة المرقب

مقدمة:

تعتبر مدينة لبدة الكبرى من المدن التاريخية المهمة بفضل موقعها الجغرافي المهم وخصوبة تربتها وخاصة القريبة من وادي كنيبس (وادي كعام) وتنّوع مواردها الطبيعية وتقع على ساحل البحر المتوسط الشمالي الغربي من ليبيا الحالية.

أسسها الفينيقيون منذ القرن السادس قبل الميلاد واستمرت السيطرة الفينيقية عليها حتى وقعت تحت السيطرة الرومانية في سنة 47 ق.م، واستمرت حتى سنة 455م، عندما وقعت تحت السيطرة الوندالية، التي كانت نهايتها على يد البيزنطيين في زمن الإمبراطور جستنيان (527 - 565م) وخلال فترة حكمه تعرضت ولاية أفريقيا البيزنطية إلى ثورة كبيرة شاركت فيها معظم القبائل الليبية، وكانت رغبة الباحث في دراسة

التاريخ القديم دافعاً له في اختيار هذا الموضوع المعنون بـ(ثورة القبائل الليبية في مدينة لبدة الكبرى وامتدادها ضد الوجود البيزنطي في زمن الإمبراطور جستنيان (527 - 565م)، وخاصة أن الفترة البيزنطية تعتبر آخر الفترات التاريخية في تاريخ ليبيا القديم، وحلقة الوصل بين العصر الوندالي والعصر الإسلامي في مدينة لبدة الكبرى، بالإضافة إلى إظهار الحقائق التاريخية لأسباب وأحداث المعارك التي دارت بين الطرفين، والنتائج التي ترتبت عن هذه الحرب، وقد اتبع الباحث في هذه الورقة البحثية المنهج السردي التاريخي التحليلي في صياغة المادة العلمية التي شملت العناصر الآتية:

أولاً: مدخل تاريخي عن مدينة لبدة الكبرى.

ثانياً: السيطرة البيزنطية على مدينة لبدة الكبرى في زمن الإمبراطور جستنيان.

ثالثاً: أسباب قيام ثورة القبائل الليبية في مدينة لبدة الكبرى ضد الوجود البيزنطي.

رابعاً: ثورة القبائل الليبية ضد سرجيوس حاكم مدينة لبدة الكبرى.

خامساً: ثورة القبائل الليبية بقيادة ايرنا ضد الوجود البيزنطي في ولاية أفريقيا.

سادساً: ثورة القبائل الليبية بقيادة كاركاسان ضد الوجود البيزنطي ويليها النتائج التي توصلت إليها الدراسة في هذه الورقة البحثية.

أولاً ـ مدخل تاريخي عن مدينة لبدة الكبرى:

تقع مدينة لبدة عند مصب وادي لبدة شرق مدينة الخمس بحوالَي 3 كيلو



متراً[1]، وكانت من أهم المرافئ التجارية التي أسسها الفينيقيون على الساحل الغربي لليبيا[2]، وقد اختلف المؤرخون في المهاجرين الذين أسسوا هذه المستوطنة، فيرى البعض أنها أسست من قبل مهاجرين من مدينة صيدا الفينيقية، ويرى البعض الآخر أن مهاجرين من مدينة صور هم الذين أسسوا هذه المستوطنة؛ لأن اسم الصيدونيين كان يطلق على الشعب الفينيقي كله في موطنهم الأصلي[3] على سواحل الحوض الشرقي للبحر المتوسط ما يعرف حالياً بساحل لبنان[4]، وقد دفعهم إلى ذلك المطامع الاقتصادية من أجل الحصول على المواد الخام الصناعية والزراعية المتوفرة في هذه المنطقة وفتح أسواق جديدة أمام تجارتهم ومنتجاتهم الصناعية[5] بالإضافة إلى حاجتهم إلى الراحة والتزود بالغذاء والماء[6]، وكذلك تعرضت المدن الفينيقية في بلادهم الأصلية إلى الغزو الأشوري ما عدا مدينة صور[7].

ومن هنا يمكن القول بأن هذه المستوطنة أُسست من قبل مهاجرين من مدينة صور وليس مهاجرين من مدينة صيدا؛ لأنه من المستحيل أن تستطيع

(1) طه باقر، لبدة الكبرى، الإدارة العامة للآثار في ليبيا، طرابلس، ص 11.

(2) أحمد أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، منشورات جامعة التحدي، سرت، ط 1، 2008م، ص 21.

(3) عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط 1، 2001م، ص 119 - 122.

(4) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1971م، ص 299.

(5) أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1993م، ص 34.

(6) أحمد أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، مرجع سابق، ص 8.

(7) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 301.

مدينة وقعت تحت الغزو الخارجي من تأسيس مستوطنة لها على الساحل الليبي، وخاصة نحن نعلم أن ذلك يتطلب الدعم السياسي والاقتصادي من المدينة الأم لتأسيسها والاستقرار فيها.

وليس معروفاً من أين جاء الاسم الفينيقي لبقي (Lbqy) للمدينة، وأقدم ذكر لهذا الاسم ورد على العملة الفينيقية التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، وورد اسمها عند سترابون بلفظ لبتيس (Leptis)[1]، ثم أضيف إليها صفة ماجنا (Magna) وتعني الكبرى تميزاً لها عن مدينة لبتس الصغرى التي أسسها الفينيقيون بالقرب من قرطاجة[2]، ويرى بعض الباحثين أن اسمها الحقيقي هو ليبكيس ماجنا (Lepcis magna) ودلت الاكتشافات الأثرية على أن تأسيس هذه المستوطنة يرجع إلى القرن السابع قبل الميلاد[3]، ويرى بعض الباحثين أن هذا الموقع لم يتحول إلى مركز تجاري دائم قبل أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وقد فرضت قرطاجة حمايتها على مدينة لبدة بعد أن تمكنت بمساعدة قبيلة المكاي (Macae) الليبية من طرد دوريوس (Dorieus) ابن ملك إسبرطة وتدمير مستوطنته التي أسسها على نهر كنيبس[4] (cinyps ـ وادي كعام) عام 517 ق.م، بعد مضي ثلاث سنوات من تأسيسها[5] للحيلولة دون وقوع المنطقة تحت النفوذ الإغريقي[6]، وأطلق

---

(1) سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر) ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2004م، ص 112.

(2) أحمد أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ص 24

(3) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص 116.

(4) أحمد أنديشة، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث، مرجع سابق، ص 48

(5) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص 48.

(6) أحمد أنديشة، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث، مرجع سابق، ص 38



الإغريق عليها بعد قرن ونصف من تاريخ هذه الحادثة اسم المدينة الجديدة (Leptis Neapolis)[1]، وقد استمرت الحماية القرطاجية عليها حتى قيام الحرب البونية الثالثة، عندما طلب ماسينيسا ملك نوميديا من قرطاجة السماح له بدخول إقليم المدن الثلاث بحجة مطاردة ثائر فر إلى إقليم قورينائية، وعندما رفضت قرطاجة الطلب فلم يتردد في دخول الإقليم والسيطرة على سهل جفارة، ولكن قرطاجة تمكنت من الدفاع عنه، وعجز ماسينيسا من الاستيلاء عليه، وشكت قرطاجة من تصرف ماسينيسا إلى روما التي قامت بإرسال بعثة للتحقيق كان على رأسها كاتو الكبير في سنة 155 قبل الميلاد، والتي رجعت إلى روما تاركة المشكلة معلقة بدون حل، ثم أرسلت لجنة أخرى قررت تسليم المدن الثلاث لماسينيسا، ودفع تعويض قدره 500 تالنت لماسينيسا لاحتفاظ قرطاجة بهذه المدن دون وجه حق[2]، ومنذ ذلك الوقت انتقلت المدن الثلاث من السيطرة القرطاجية إلى السيطرة النوميدية، وكانت نهاية هذه الحرب تدمير مدينة قرطاجة في سنة 146ق.م، وتحويلها إلى ولاية رومانية أطلق عليها ولاية أفريقيا، وكانت مدينة لبدة أثناء الحكم النوميدي تتمتع بحرية نسبية، وخاصة في الحكم الداخلي الذي ترك في أيدي سكانها[3]، واستمر حتى نهاية الحرب الأهلية بين يوليوس قيصر وأنصار بومبي والتي كانت نهايتها انتصار يوليوس قيصر على خصومه[4] في معركة تابسوس (Tabsus) عام 47ق.م، فقام بمعاقبة مدينة لبدة بسبب وقوفها إلى جانب أنصار بومبي وتزويدهم بالرجال والسلاح

---

(1) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص115.

(2) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط1، 1971، ص337.

(3) أحمد أنديشة، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث، مرجع سابق، ص45 – 47.

(4) رجب عبدالحميد الاثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط3، 1998م، ص207.

والمؤن[1] ففرض عليها ضريبة سنوية تقدر بثلاثة مليون رطل من زيت الزيتون وأنزلها من مرتبة مدينة حليفة وصديقة إلى مرتبة مدينة تابعة لروما[2] وظلت مدينة لبدة تحت السيطرة الرومانية حتى قيام الامبراطورية البيزنطية التي تعتبر امتداداً لها عندما قام الإمبراطور قسطنطين الأول (324 - 337م)[*] بنقل عاصمة الإمبراطورية من روما القديمة على ضفاف نهر التيبر إلى روما الجديدة على شواطئ البوسفور التي بناها على أنقاض مدينة بيزنطيوم الإغريقية في سنة 330م، وسميت بالقسطنطينية نسبة إليه وقد اعتبرها معظم الباحثين المرحلة المبكرة لانطلاق التاريخ البيزنطي[3] واستمرت السيطرة البيزنطية حتى سنة 455م، عندما جهز الوندال[**] جيشاً كبيراً وانضمت إليهم أعداداً من النوميدين وزحفوا على مدينة لبدة بعد سيطرتهم على مدينة قرطاجة وتمكنوا من الاستيلاء عليها بكل سهولة وقاموا بهدم أسوارها للحيلولة دون استفادة القبائل المحلية

(1) أحمد أنديشة، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث، مرجع سابق، ص 61 - 62.

(2) إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص 662.

(*) الامبراطور قسطنطين: هو ابن غير شرعي للإمبراطور قسطنطينوس من عشيقته هيلينا التي أقام معها علاقة لعدة سنوات حتى هجرها سنة 289م، وتزوج من تيودورا وتربى قسطنطين في القصر الإمبراطوري في نيقوميديا، سيد أحمد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والاقتصادي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1977م، ص 428.

(3) عياد مصطفى أعبيليكة، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي منذ زمن الإمبراطور قسطنطين الأول حتى قبيل الفتح الإسلامي، (306 - 642م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، 2006م، ص 67 - 69.

(**) الوندال: هم قبائل من أصل جرماني زحفوا من بحر آزرف عبر ألمانيا على بلاد الغال واستقروا في إسبانيا ومنها قدموا إلى شمال أفريقيا سنة 429م، وكان عددهم ثمانين ألفاً من النساء والأطفال من بينهم عشرون ألف مقاتل وتمكنوا من الاستيلاء على قرطاجة الرومانية في سنة 439م، على فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط 2، 1975م، ص 185.

منهـا في حالـة قيامها بثورة ضد حكمهم[1] ومن الجديـر بالذكر أن الوندال لم يتركوا آثاراً تدل على حكمهم لمدينة لبدة سوى عدد من النقود التي عثر عليها في سوقها[2].

ثانيـاً ـ السـيطرة البيزنطيـة علـى مدينـة لبدة الكبـرى في زمـن الإمبراطور جستنيان:

تولـى الإمبراطور جسـتنيان (Justinian) (527 - 565م) عـرش الإمبراطورية الشـرقية في سـنة 527م بعد وفاة عمه جسـتين، ويعتبر من أعظم رجال عصره ثقافـة وسياسـة[3]، فقـام بتحويـل الإمبراطوريـة البيزنطيـة مـن حالـة الفوضـى والاضطرابات إلى حالة الاستقرار والأمن[4]، وأخذ بملاحقة واضطهاد أصحاب مذهـب الآريوسـي مذهـب الطبيعـة الواحـدة، وبذلـك كانـت سياسـته الدينية أرثوذكسية[5]، كما أنه قام ببناء تحصينات قوية حول حدود ومدن الإمبراطورية البيزنطية[6].

وكانت من أهم أهدافه السياسية إعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية القديمة وإحياء ماضيها وتراثها العظيم، وخاصة النصف الغربي من الإمبراطورية الذي

(1) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 445 - 446.
(2) طه باقر، مرجع سابق، ص 32.
(3) السـيد البـاز العريني، الدولـة البيزنطيـة 323 - 1081م، دار النهضـة العربيـة للطباعة والنشـر، بيروت، 1982م، ص 65.
(4) محمد فتحي الشـاعر، السياسـة الشـرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السـادس الميلادي (عصر جستنيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص 67.
(5) نبيـه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية دراسـة في التاريخ السياسـي والثقافـي والحضاري، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969م، ص 63.
(6) محمد الشاعر، مرجع سابق، ص 67.

كان تحت سيطرة القبائل الوندالية، وضمه إلى الإمبراطورية الشرقية بالإضافة إلى إنقاذ المسيحيين الكاثوليك من الظلم الذي فرض عليهم، وتعبئة خزينة الإمبراطورية الشرقية من المناطق التي يستردها من الوندال(1).

وكانت من بين الولايات التي يسيطر عليها الوندال ولاية أفريقيا التي يحكمها الملك الوندالي هلدريك ابن حنياريك، الذي اتبع سياسة التسامح الديني مع سكان هذه الولاية، حيث سمح إلى القساوسة المنفيين بالعودة إلى مدينة قرطاجة وأمر بفتح الكنائس وإقامة المداولات في المجامع الدينية وكانت من أهم نتائج هذه السياسة التسامحية إقامة علاقات صداقة قوية بينه وبين الإمبراطور جستنيان وكان الوندال يرفضون هذه السياسة(2)، ويعتبرونها نوعاً من الخضوع لملكهم واعترافاً بحق سيادة الإمبراطور جستنيان على ولاية أفريقيا(3)، وفي تلك الفترة قامت قبائل سكان شمال أفريقيا بالثورة ضد الوجود الوندالي وامتدت من موريتانيا إلى مدينة قفصة التي كان يوجد فيها أنتالاي (AntalaI) قائد هذه القبائل(4)، وعلى أثر ذلك قام الملك هلدريك بتجهيز جيش بقيادة ابن أخيه جيليمار (Gelimar) الذي اشتبك مع هذه القبائل الثائرة وتمكن من تحقيق بعض الانتصارات عليها(5)، ويرى بعض الباحثين أن جيليمار استغل هذه الانتصارات التي حققها على هذه القبائل فقام بمساعدة الجيش بعزل عمه

(1) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 467.
(2) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي، 647م، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 3، 1978، ص 349 - 350.
(3) محمد محي الدين المشرفي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 2، 1957م، ص 120.
(4) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 350.
(5) محمد المشرفي، مرجع سابق، ص 120.

وسجنه وتولي الحكم مكانه في ولاية شمال أفريقيا[1] وعندما علم الإمبراطور جستنيان بذلك طلب من جيليمار السماح لعمه هلدريك بالخروج مع عائلته إلى القسطنطينية، فرفض جيليمار ذلك واعتبره تدخلاً في شؤون مملكته[2]، وبذلك وجد الإمبراطور جستنيان فرصته لتحقيق أهدافه وأطماعه فأعلن الحرب على جيليمار[3] وجهز أسطولًا في القسطنطينية في سنة 533م يتكون من 18 ألف مقاتل بقيادة بليزاريوس (Belizarius) استعداداً للإبحار إلى ولاية أفريقيا والقضاء على الوجود الوندالي فيها[4]، وفي مساء اليوم الذي أبحر فيه الأسطول البيزنطي قام أحد القادة الوطنيين من أبناء إقليم المدن الثلاث ويدعى بدنتيوس (Pudentius) بإعلان الثورة ضد الوجود الوندالي، وعندما وصلت أنباء هذه الثورة إلى القسطنطينية، قام الإمبراطور جستنيان بإرسال قوة عسكرية صغيرة تحت قيادة تاتيموت (Tatimutt)، لمساندة بدنتيوس في الاستيلاء على الإقليم، وقد تمكنت هذه الثورة من السيطرة عليه بكل سهولة، لأنها كانت خالية من القوات الوندالية[5].

ومن المرجح أن هذه المدن الثلاث لم تكن خالية من القوات الوندالية، ولكن لم توجد فيها القوة الكافية لمواجهة هذه الثورة المحلية، والتي كان لها الدور الأول في تحرير هذه المدن من السيطرة الوندالية، ووقوعها تحت السيطرة البيزنطية.

وبذلك وقعت مدينة لبدة تحت السيطرة البيزنطية، وقد اهتم الامبراطور

(1) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 467.
(2) محمد المشرفي، مرجع سابق، ص 120 - 121.
(3) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 467.
(4) السيد العريني، مرجع سابق، ص 71.
(5) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 467.

جستنيان بها ولعل ما يؤكد ذلك قول بروكوبيوس: إن الإمبراطور جستنيان بنى السور المحيط بالمدينة من أسسه[1]، الذي دمره الوندال أثناء سيطرتهم عليها[2]، مما أدى إلى زحف الرمال وتغطيتها لجزء منها، ولهذا يرى بعض الباحثين أنه هو السبب الذي جعل الإمبراطور جستنيان يضيق دائرة أسوارها[3].

أما حملة بليزاريوس فقد وصلت إلى سواحل شمال أفريقيا ونزلت في رأس كابوديا (Kobudia) جنوب مدنية سوسة بتونس الحالية واستطاعت إحراز العديد من الانتصارات على القوات الوندالية وقتل القائد الوندالي طازون أخ جيليمار، كما تمكن القائد البيزنطي فاراس (Faras) من محاصرة جيليمار في جبل بابوا (Papua) لمدة ثلاثة أشهر[4] حتى استسلم للقوات البيزنطية وبذلك كانت نهاية المملكة الوندالية في ولاية أفريقيا سنة 534م[5].

ثالثاً ـ أسباب قيام ثورة القبائل الليبية ضد الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى:

قام الإمبراطور جستنيان في العام السابع عشر من حكمه بتعيين سرجيوس باكوس (Sergius Bakus) ابن أخي سولومون (Solomon) (سليمان) حاكماً على

---

(1) Procopius, vii, Buidings, Translation By: H. B. Dewing, L. C. L, William Heineman Ltd. London. 1971, VI. Io ـ I8.

(2) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 446.

(3) Jones A. H. M. (Frontier Defence in Byzantine Libya) Libya in History, Historical Conference 16-23 March 1968. P297.

(4) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 357 - 360.

(5) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 468.

إقليم المدن الثلاث[1]؛ أي: ما يوافق سنة 544م[2]، وكان مقر حكمه في مدينة لبدة الكبرى[3]، وقامت في فترة حكمه ثورة كبيرة شاركت فيها العديد من القبائل الليبية وكان من أهم أسبابها اتباع البيزنطيين سياسة قاسية وصارمة ضد السكان المحليين وخاصة في جباية الضرائب[4] الباهظة التي فرضها الإمبراطور جستنيان[5]، مما جعل السكان المحليين مع مرور الأيام يزدادون إرهاقاً منها وحقداً على الحكم البيزنطي[6]، وكذلك قيام الجنود البيزنطيين الموجودين في مدينة لبدة الكبرى بالاعتداء على أراضي القبائل الليبية وسرقة محاصيلهم الزراعية[7] ولعل هذا يدل على أن الوضع الاقتصادي كان متدهوراً في مدينة لبدة في العصر البيزنطي حتى عجزت عن عدم توفير المؤن الكافية لجنودهم الأمر الذي دفعهم إلى سرقة المحاصيل الزراعية من هذه القبائل. كما يدل على عجز الإمبراطورية البيزنطية في تسديد نفقات ورواتب الجنود بالإضافة إلى ذلك اعتبر الإمبراطور جستنيان كافة الأراضي الزراعية من أملاكه الخاصة وعلاوة على ذلك أن الإمبراطور جستنيان منع الآريوسين من ممارسة شعائرهم الدينية[8]، كما تعتبر المذبحة التي تعرضت لها قبائل لواتة في مدينة لبدة الكبرى على يد البيزنطيين من أهم الأسباب لهذه الثورة، والتي يقول

(1) علي خشيم، مرجع سابق، ص 193.
(2) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 469.
(3) علي خشيم، مرجع سابق، ص 193.
(4) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 465 - 470.
(5) فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284 - 1453م) المكتبة العلمية الحديثة، المنصورة، 2000م، ص 79.
(6) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 465.
(7) جودتشايلد، ر.ج، دراسات ليبية، ترجمة: عبدالحفيظ الميار وأحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1999م، ص 204.
(8) فايز اسكندر، مرجع سابق، ص 79.

بروكوبيوس عنها: جاء المور الذين يدعون لواتة بجيش عظيم إلى سرجيوس في مدينة لبدة الكبرى وقد استقبل منهم ثمانين رجلاً من أعظم وجهاء لواتة داخل المدينة، وطلب من الباقين أن يظلوا في ضواحيها، وبعد أن أعطى هؤلاء الوجهاء ضمانات السلام، دعاهم إلى وليمة أقامها لهم ولما جلسوا معه اتهموا الرومان (البيزنطيين) بسلب محاصيلهم الزراعية، فنهض سرجيوس غير متلفت لهذه التهم فحاول رجل من لواتة أن يمنعه من ذلك فقام أحد حراسه بقتل ذلك الرجل، كما قام باقي الحرس بقتل كل شيوخ لواتة ما عدا رجل واحد استطاع الفرار من الحرس ونقل ما جرى لأبناء قبيلته الذين أسرعوا إلى معسكرهم وأخذوا أسلحتهم لمواجهة الرومان، ويرجح أن هذه المذبحة التي ارتكبها البيزنطيون ضد قبيلة لواتة لم تكن صدفة ولكنها كانت نتيجة الغدر والخيانة التي اعتادوا عليها. ولعل ما يؤكد ذلك قول بروكوبيوس أن سرجيوس أقسم بكتب النصارى على السلم ثم قتل أولئك الذين صدقوه ويقصد بذلك المذبحة التي ارتكبها البيزنطيون في مدينة لبدة الكبرى[1].

رابعاً ـ ثورة القبائل الليبية ضد سرجيوس حاكم مدينة لبدة الكبرى:

قام أبناء قبائل لواتة الذين كانوا خارج أسوار مدينة لبدة الكبرى بالهجوم عليها بعد أن سمعوا بالمذبحة التي ارتكبها البيزنطيون ضد وجهاء قبيلتهم، ولكنهم فوجئوا بالحرس البيزنطي الذي بدأ يهاجم معسكرهم، وتمكن من الاستيلاء عليه بعد معركة دارت بين الطرفين، غير أن قبائل لواتة قامت في أواخر ذلك اليوم بالهجوم على البيزنطيين وتمكنت من هزيمتهم وقتل بدنتيوس الذي تحالف مع البيزنطيين، وأرغموا سرجيوس وجنوده على الانسحاب داخل أسوار مدينة لبدة الكبرى وقد انضمت لهذه الثورة العديد من القبائل

---

(1) نقلًا عن: علي خشيم، مرجع سابق، ص193 – 196.

الليبية التي من أهمها قبائل الاوسترياني[1]، ولعل خير دليل على مشاركة هذه القبيلة ما ذكره فلافيوس كوريبوس (Flavius Corippus) حيث أشار أن قبائل لواتة التي لم تهزم كانت في ألوف لا حصر لها، وأخذت تزحف إلى الأمام بسرعة وتبعتها قبائل أوستر (Austur) (الاوسترياني) التي انطلقت فوق خيولها في أعداد لا حصر لها، وهي واثقة في قوتها ومعروفة بشجاعتها في الحرب، وكذلك جماعات من قبيلة موكتونيان (Muctunian) التي تسكن سرت ورجال من بلدة قادابس (Gadabis) التي تقيم بمنطقة لبدة[2]، كما انضمت لهذه الثورة قبائل مارماريكا (Marmaruca)، وقبائل باركاي اللتان قدمتا من إقليم برقة[3]، واستقرت هذه القبائل في روابي تونس الحالية[4].

ويتضح مما سبق أن معظم القبائل الليبية من مختلف المناطق شاركت في هذه الثورة، وهذا يدل على اللحمة الوطنية في مقاومة الغزاة البيزنطيين، كما أنضم القائد الليبي انتالاس جونفيان (Antalas Guenfean) إلى هذه القبائل لمواجهة الجيش البيزنطي[5]، وكان ذلك لأسباب عدة ومن أهمها أن القائد سولومون منع وصول المؤن[6] السنوية إلى القائد أنتالاس التي كان الإمبراطور جسنتيان يكرمه بها، كما قام سولومون بقتل أخيه بعد اتهامه بتزعم ثورة قامت ضد سكان منطقة بوزاكيوم[7] (Byzacium) التي تقع على الساحل الشرقي

(1) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 469 – 470.

(2) فلافيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة: محمد الطاهر الجراري، مطابع المنطقة الحرة، حلب، 1988م، ص 48 – 50.

(3) عياد أعبيليكة، مرجع سابق، ص 83.

(4) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470 – 471.

(5) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 46.

(6) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 370.

(7) علي خشيم، مرجع سابق، ص 196.



لتونس، وأكد فلافيوس كوريبوس هذا السبب عندما يقول «خرج انتالاس أحد قادة القبائل الليبية إلى الحرب انتقاماً لمصرع أخيه»[1]، بالإضافة إلى النبوءة التي التمسها والده من الإله أمون والتي جاء فيها أن ابنه سيكون القائد الذي سيوحد القبائل الليبية وبذلك حصل على بركة هذا الإله[2].

أما القوات البيزنطية بقيادة سولومون فقد انضم إليها كوسينا (Cusina) وهو زعيم قبيلة ليبية حليفة للبيزنطيين وبدأ يزحف بقواته في اتجاه القبائل الليبية وانضمت إليه بعض القبائل الليبية الأخرى وكان من أهمها قبيلة ميكاليس (Mecales) وقبيلة أيفوراكيس (Ifuraces) وعندما وصلت هذه القوات إلى ميدان المعركة اندفع القائد سولومون بقواته وسط القبائل الليبية التي تمكنت من قتل العديد من البيزنطيين مما أدى إلى انتشار الرعب في صفوفهم، ودفعهم إلى الهروب من المعركة تاركين قائدهم سولومون يقاتل وسط القبائل الليبية التي أخذت تلاحق القوات البيزنطية وتصرعهم حتى تمكنت من مقتل القائد سولومون بعد أن اخترق رمح صدره[3]، في معركة كيلّيوم (Cillium - القصرين الحالية بتونس)[4] في سنة 544م[5]، وبعد مقتله عمت الفوضى جيوش البيزنطيين وأخذوا ينسحبون حتى دخلوا أسوار مدنهم وقامت القبائل الليبية بتجميع الغنائم من ميدان المعركة، ثم زحفت على معظم المراكز والبيوت البيزنطية وسلبت ونهبت ما فيها وأشعلت النار في الحقول، ولم يتمكن البيزنطيون من الدفاع عن الأسوار المحيطة بمدنهم[6].

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 46.
(2) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص 89.
(3) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 78 - 80.
(4) عياد أعبيليكة، مرجع سابق، ص 83.
(5) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.
(6) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 80.

وظلت هذه الثورة مستمرة، ولم يتمكن القادة البيزنطيون من القضاء عليها وكان من بينهم سرجيوس الذي عزله الإمبراطور جستنيان في سنة 545م، وعين بدله أريوبيندوس (Ariobindeus) حاكماً عسكرياً على ولاية أفريقيا[1]، وفي فترة حكمه تعرضت القوات البيزنطية لهجمات قبائل لواتة التي قتلت أعداداً كبيرةً منهم، وقامت بأعمال السلب والنهب لبعض الأماكن والمراكز البيزنطية، وكان من أهم نتائجها انتشار الخراب في بعض الممتلكات البيزنطية والفقر بين السكان البيزنطيين في ولاية أفريقيا، وقد استمر حكمه بضعة أشهر ثم تعرض لمؤامرة من جانتاريت (Guntharit) أودت بحياته وأعلن نفسه حاكماً لولاية أفريقيا المستقلة عن بيزنطة[2]، غير أن حكمه لم يدم طويلًا حيث تعرض لطعنة من ضابط أرمني[3] يدعى ارتابانيس (Artabanes)[4] في أثناء الاحتفال بحكمه فكانت سبباً في مصرعه وتولي الحكم مكانه وأعلن الولاء للإمبراطور جستنيان وبذلك عادت ولاية أفريقيا من جديد إلى السيطرة البيزنطية[5].

ونستدل من عزل القادة البيزنطيين وتعرض بعضهم للاغتيال من جنودهم على مدى ضعف هؤلاء القادة وعدم قدرتهم على مواجهة قبائل لواتة التي استمرت في مهاجمة القوات البيزنطية وتخريب مقاطعاتهم كما تدل على انتشار الفوضى وعدم الاستقرار والأمن وإفلات زمام الأمور في هذه الولاية من السيطرة البيزنطية، حتى عجز هؤلاء القادة عن حماية أنفسهم.

---

(1) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 370.

(2) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 79 - 84.

(3) المصدر نفسه، ص 89 - 90.

(4) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 371.

(5) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 89 - 90.



خامساً ـ ثورة القبائل الليبية بقيادة إيرنا ضد الوجود البيزنطي في ولاية أفريقيا:

اضطر الإمبراطور جستنيان بعد انفلات زمام الأمور من القادة البيزنطيين في ولاية أفريقيا، وزيادة هجمات القبائل الليبية على القوات البيزنطية إلى دعوة القائد يوحنا تروجليتا[1] (John Troglita) الخبير في حروب الصحراء[2] وأفضل القادة في الإمبراطورية الشرقية لتولي قيادة الجيوش البيزنطية في ولاية أفريقيا في سنة 546م[3]، الذي خاض العديد من المعارك ضد القبائل الليبية في ولاية بيزاكيوم بتونس[4]، التي من أهمها قبائل لواتة والأوستورياني[5]، وجنود من قبائل سرت وقبائل مازاكس (Mazax)[6] التي كانت تقيم في الأراضي الصحراوية لسرت[7]، وقبائل مارماريكا[8]، وقد قسمت هذه القبائل جيشها إلى قسمين: فكان الجيش الأول بقيادة إيرنا (Ierna) زعيم قبيلة مارماريكا وكاهن الإله أمون قرزل (Ammonian Gurzil)، الذي وضعته القبائل الليبية لقيادتها في هذه الحرب؛ لأنه أعظم شيوخها[9]، واعتقادهم العميق بأن الإله قرزل سيحقق له النصر على أعدائهم[10]،

(1) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 731.
(2) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.
(3) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 371.
(4) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 128.
(5) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.
(6) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 106 - 108.
(7) د.ح. ماتينقلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة: محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2009م، ص 425.
(8) عياد أعبيليكة، مرجع سابق، ص 83.
(9) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 106.
(10) جود تشايلد، مرجع سابق، ص 428.

ويرى بعض الباحثين أن الإله الليبي قرزل (قرزول) هو ابن الإله أمون من بقرة[1].

أما الجيش الثاني بقيادة انتالاس فكان قوة احتياطية لا يشارك في المعركة إلا في الوقت الضروري، وتحرك الجيش البيزنطي بقيادة ريسيناريوس (Recilnarias) مساعد القائد يوحنا حتى أصبح في مقابلة جيوش القبائل الليبية وتبارز مع ايليمار (Eilimar) أحد قادة القبائل، وتمكن من قتله وبذلك يكون أول من قتل في هذه المعركة وبعدها اندفعت القوات البيزنطية إلى ميدان المعركة واستطاعت السيطرة على مؤخرة جيوش القبائل الليبية وأوقعت الفوضى بين صفوفهم غير أنهم تمكنوا من تجميع صفوفهم والعودة إلى ساحة المعركة وتمكن القائد يوحنا من قتل ثلاثةً من أبرز قادة القبائل الليبية وهم مازانا (Mazana) وشقيقه جارديوس (Gardius) وكولان (Cullan) كما قتل الجنود البيزنطيون العديد من رجال هذه القبائل فدب الاضطراب في صفوف جنودها وأخذت قبائل لواتة والاستورياني تنسحب من المعركة وعندما شاهد بروتين (Bruten) أحد قادة القبائل الليبية هروب هذه القبائل صرح قائلاً: «أية معركة التي تلقي الرعب في قلوبكم وتدفعكم للهروب يا رجال قبيلة لواتة...، وأنت يا أوستورياني أي عدو هزمك وجعلك تفر في ذعر كبير...، فهبوا لنصرة أبنائكم»[2].

وعندما سمعت هذه القبائل ذلك النداء عادت إلى المعركة وتمكن بروتين من قتل القائد الروماني بول (Poll) بعد أن أصابه برمح اخترق صدره كما تمكن إيلدا (Ialda) من ضرب القائد البيزنطي لارجوس (Largus) بسيفه وقتل الإسان، (Ilasan) وكان من أبرز المحاربين في هذه المعركة القائد البيزنطي

(1) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص 67 – 68.

(2) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 107 – 112.

مارسيانوس (Marcianus) الذي تمكن من قتل ثلاث جنود من القبائل الليبية، وهم ميراسجون (Merasgun) وسوارتيفان (Suartifan) وأساجواس (Isaguas)، وأخذ يرمي الجنود الهاربين من القبائل الليبية بحراب رفاقهم، وقد تكدست جثت الرجال والخيول فوق بعضها البعض في هذه المعركة، وكان أنتالاس قائد الجيش الثاني الاحتياطي يرقب القتال بين الطرفين، ولكنه اضطر إلى دخول المعركة وأعاد الحماس والثقة في صفوف جنود القبائل الليبية وخاصة بعد أن سقط القائد الروماني مارسيانوس قتيلاً في وسط المعركة، كما اتجه سيديفان (Sidifan) قائد جنود سرت إلى زوديوس (Zudius) أبرز المقاتلين البيزنطيين الذي قتل عدداً كبيراً من جنود القبائل الليبية، واستطاع مع مجموعة من جنوده بمحاصرته ورميه بالسهام والحراب حتى سقط قتيلاً[1].

وقامت قبائل مازاكس الصحراوية القادمة من سرت بالمشاركة في هذه المعركة[2]، ويقول فلافيوس كوريبوس: «بأنها تحارب بالخديعة والغدر من جميع الجوانب، لأنهم عندما شاهدوا الجنود البيزنطيين يشقون طريقهم إلى المعسكر بين صفوف الجمال أخذوا يهاجمونهم ويرمونهم بالسهام ويضربونهم بجميع أسلحتهم حتى تمكنوا من رد الجنود البيزنطيين على أعقابهم»، واستمرت هذه المعركة بين الطرفين دون حسم، وعندما أدرك القائد البيزنطي يوحنا عدم قدرته على تحقيق الانتصار في ميدان المعركة هاجم معسكر القبائل الليبية، وقام جنوده بخطف النساء والأطفال ونهب الأغنام والماشية وكل ما وجدوه داخل المعسكر وعندما سمعت قبائل لواتة بذلك أخذت بالفرار من المعركة عبر السهول، وتعقبتهم القوات البيزنطية بقيادة يوحنا وأخذت تصرعهم، وبدأوا يلقون سيوفهم ويتساقطون فوق بعضهم بعضاً كما

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 112 - 116.

(2) د. ج. ماتينقلي، مرجع سابق، ص 425.



هـرب القائـد إيرنـا بعـد أن تحطمت قوته حامـلاً معه معبـوده قرزيل من أجل حمايتـه[1] ويـرى بعض الباحثين أنـه كان يحمل رمز هذا الإله[2]، ولكنه سـقط وتمـدد علـى الرمال حتـى فارقته الحياة، وسـقط معه آلاف القتلـى من جنوده وتمكـن جنـود يوحنا من إعـادة ألوية القائـد البيزنطي سـولومون القديمة التي استولى عليها إيرنا قائد القبائل الليبية المتحالفة[3].

سادسـاً ـ ثـورة القبائل الليبية بقيادة كاركاسـان ضد الوجـود البيزنطي في ولاية أفريقيا:

يمكن تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين:

أولاً ـ المرحلة الأولى: ـ

قام القائد كاركاسـان (Carcasan) القادم من سـرت (Syrtis) بتجميع صفوف القبائـل الليبية من جميع المناطق التي تفرقت بعد الهزيمة التي تعرضت لها من قبـل البيزنطييـن، وخاطبهـم قائلاً: «إن قبائـل لواتة التي لم تهـزم أبداً فقدت كل شـيء وعـادت مهزومـة، لقـد فقدنا أمهاتنـا وزوجاتنـا وصغارنا معاً فمـاذا يبقى للرجـال في نهاية الأمر سـوى موتة واحـدة»، ورد بروتين عليه قائلاً: «أيها الأب ذو البأس يمكنك أن تسترد زوجاتنا وأطفالنا عندما تجدد الحرب»، وبعد الانتهاء مـن كلامه أعلنت قبائل لواتة أن كاركاسـان هو القائـد الأوحد لقبيلتهم، وبدأت قوات الفرسـان والمشـاة تندفع من منطقة سرت وانضمت إليهم مجموعات من راكبي الجمال كما انضمت إليهم قبائل النسامونيس، وبعض المقاتلين من قبيلة الجرامنـت وقبائـل مارماريكا وعبرت إقليم المدن الثلاث، أخذت تدمر الحقول

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 122 - 125.

(2) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص 68.

(3) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 125.



البيزنطيـة لهـذه المـدن وتتقدم نحـو مدينة قرطاجة حتى اسـتقرت فـي جزء من منطقـة بيزاكيـوم[1] ويبـدو أن إقليم المدن الثـلاث لـم تكن فيه القـوة الكافية من الجيش البيزنطي للتصدي لهذه القبائل قبل وصولهم إلى منطقة بيزاكيوم.

وقامت قبائل لواتة بنهب وسلب وتخريب كل ما وجدته في هذه المنطقة، ثم انسحبت إلى أطراف الصحراء، وعندما وصلت أخبار وصول قوات القبائل الليبيـة إلـى البيزنطييـن أخذ قادتهم في تجميع قواتهم من الفرسـان والمشـاة، وانضـم إليهم كوسـينا علـى رأس جيش مـن قبائـل الماسـيليان (Massylian)، وتقدمـت هذه القـوات نحو الجنوب بقيـادة يوحنا لتعقب القبائـل الليبية حتى وصلـوا إلـى أطـراف الصحـراء ونفذ مـا عندهم من المـاء والطعـام، وأخذت جيادهم تتساقط من شدة العطش والجوع فأمر القائد يوحنا جيشه بالتحرك في اتجـاه شـاطئ البحر حتى عسـكر بهم علـى مقربة من نهر كانـو، وأخذ جنوده يروون ظمأهم من مياهه العذبة[2].

كما أمر بإقامة معسكرهم وحفر الخنادق للاحتماء بها، وقام بتنظيم الجيش حيـث وضع كوسـينا على ميمنة الجيـش وبجانبه القـوات الماسـيلية، والقائد بوتزينتولـوس (Putzintulus) على ميسـرة الجيش، ثـم تحرك هذا الجيش بقيادة يوحنا بعد علمه بأن بعض الجنود البيزنطيين وقبائل مازاكس (Mazax) المتحالفة معهم مشتبكون في معركة مع القبائل الليبية على السهول، وتمكنت من إلحاق خسـائر كبيرة في صفوفهم بقيادة كاركاسـان، فاضطرت قبائل مازاكس والفرق البيزنطية إلى الفرار من المعركة، وأخذت قبائل لواتة في تعقبهم حتى انتصرت عليهم في هذا الاشتباك الأول من المعركة[3]، والتساؤل هنا هل قبيلة مازاكس

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 131 – 136.

(2) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 137 – 142.

(3) المصدر نفسه، ص 146 – 149.

تمردت على القبائل الليبية وتحالفت مع البيزنطيين؟ لأننا نجدها في الحرب السابقة كانت تقاتل مع القبائل الليبية، كما نجدها كذلك في نهاية الحرب، أو أن البيزنطيين هم الذين أجبروهم على التحالف معهم بالقوة، أم أن هذه القبيلة كانت منقسمة إلى قسمين: القسم الأول وقف مع القبائل الليبية، والقسم الآخر تحالف مع البيزنطيين، ويبدو أن هذا التساؤل الأخير هو الأقرب إلى الواقع؛ لأن القبائل الليبية لا يمكن أن تقبل بعودة قبائل مازاكس إلى صفوفها وتضع فيها الثقة مرة أخرى لأي سبب من الأسباب بعد تمردها وتحالفها مع أعدائها.

وقد استخدمت القبائل الليبية الجمال في هذه المعركة للاحتماء بها أثناء المعركة[1]، ومن المرجح أن السبب الذي دفع القبائل الليبية إلى الاحتماء بالإبل ليس الخوف، ولكنها خطة حرب اتبعتها القبائل الليبية وخاصة قبائل لواتة منذ القرن الخامس الميلادي[2] في حروبهم ضد الوندال بقيادة كاباون (Cabaon)؛ لأن الخيول تخشى الجمال ويذب الذعر في قلوبها فتلقي بفرسانها على الأرض، فتكون سبباً في انتصارهم على العدو[3]، وبذلك كانت الجمال من أهم الحيوانات التي استخدمتها القبائل الليبية في حروبها ضد الوندال والبيزنطيين في إقليم المدن الثلاث[4].

وفي تلك الأثناء قام القائد البيزنطي زيبير (Ziper) وبصحبته القائد سولوموت (Solumuth) بالتقدم وسط جنود سرت، وأخذا يرميان رماحهما في صدور هؤلاء الجنود، كما انضمت إلى المعركة فرقة بيزنطية كان فيها ثلاثةً

(1) المصدر نفسه، ص 146.
(2) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 348 - 349.
(3) علي خشيم، مرجع سابق، ص 190.
(4) أ. ف غويتيه، ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني، طرابلس، ط 1، 1970م، ص 134.



من أبرز جنودها وهم بولميتزيس (Bulmitizs) وآرياريت (Ariarith) ودوروتيس (Dorotis)، الذيـن أخـذوا يقتلـون كل من يهاجمهـم من جنود القبائـل الليبية، فقامت قوات المشاة من قبائل مارماريكا بالتقدم في صفوف الجنود البيزنطيين، وتمكنـت من قتل أعداد كبيرة منهم، وكان من بينهم القائدان البيزنطيان، وهما آرياريـت وزيبيـر بعد إصابتهمـا بالعديد من الضربـات، وكانت القبائـل الليبية تزداد قوة ويتبعها كل من كامالوس (Camalus) وسيراوس (Ceraus) وستونتاوس (Stontaus)، وأخـذت تهاجم وتقتل الجنـود البيزنطيين، فاضطر القائد البيزنطي سـولوموت إلى الهروب من المعركة، وتعقبه جنود القبائل الليبية حتى تمكنوا من قتله على شاطئ البحر، وبذلك انتصرت القبائل الليبية في هذه المعركة بعد أن تمكنت من قتل أبرز القادة والجنود البيزنطيين(1).

ثانياً ـ المرحلة الثانية: ـ

بعـد الهزيمـة التـي تعرضت لها القـوات البيزنطيـة على يد القبائـل الليبية تشتت القبائل المتحالفة معهم، وانسحبت قوات يوحنا حتى استقرت في مدينة يونكـي (Iunci) أويوكي (Iouce) ويرجح أنها قريـة قصر يونقا الحديثة، وكانت تقع جنوب مدينة قرطاجة ونستدل من حديث فلافيوس على أنها تقع بالقرب من البحر، وقامت القبائل الليبية بالاسـتيلاء على الغنائم التي تركها البيزنطيون في ميدان المعركة، وقد استشار القائد يوحنا مساعده ريسيناريوس (Recinarius) فـي خطـة الحـرب، واقترح عليـه دعـوة القبائل المتحالفـة معهم، فقـام يوحنا بإرسـال الرسـل إليهم الذين اسـتطاعوا إقناعهم بالعودة إلـى الحرب، وأمرهم يوحنـا بالتجمـع فـي مدينة لاريبـوس (Laribus) وهـي تقع جنـوب أتيكا على شـاطئ البحر، وكانت مدينة محصنة بأسـوار، بناها الإمبراطور جسـتنيان وترك

---

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 150 - 155.

يوحنا مدينة يونكي واتجه إلى هذه المدنية وانضم إليهم القائد أتاناسيوس[1] (Athanasius)، وعندما علمت القبائل الليبية بذلك التي من أهمها قبائل لواتة والاوستورياني والنسامونيس وقبائل مارماريكا وجنود من قبائل سرت الأخرى زحفت على مدينة يونكي واستولت عليها، وأقامت فيها معسكراً، كما استولت على حقولها وأحرقت جميع مزروعاتها وقام القائد أنتالاس بوضع خطة تقوم عل تخريب المحاصيل الناضجة، وعندما يهاجمهم البيزنطيون يتظاهرون بالهروب وعندما يتعقبونهم يتركونهم حتى يصلوا إلى مكان يكون خالياً من المياه والطعام وفي هذا المكان تقوم القبائل الليبية بمهاجمتهم بعد أن يصيبهم العطش والجوع، وبذلك يتمكنون من هزيمتهم بكل سهولة نتيجة العطش والجوع أو السيف[2].

أما القبائل الليبية فقد كانت معتمدة في شربها على الألبان[3] ومياه العيون والنبيذ وفي أكلها على الحبوب[4] ولحوم ماشيتها[5].

وقام القائد يوحنا بإرسال القائد كايسيليدس (Caecilides) لاستطلاع مراكز القبائل الليبية في مدينة يونكي الذي تمكن مع بعض جنوده أثناء الليل من دخول بوابات المدينة، وليستكشفوا الأماكن السرية وخنادق جنود القبائل الليبية التي يحتمون فيها[6]. كما تمكنوا من أسر خمسة جنود من هذه القبائل، وكان من بينهم فارينوس (Varinus) أحد فرسان قبيلة النسامونيس واقتادوهم

---

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق ص 158 - 163.

(2) المصدر نفسه، ص 166 - 172.

(3) عياد أعبيليكة، مرجع سابق، ص 85.

(4) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 183.

(5) عياد اعبيليكة، مرجع سابق، ص 85.

(6) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 169 - 170.

ائد يوحنا حيث كشفوا له جميع أسرار وخطط القائد كاركاسان، وبعد وصول هذه المعلومات إلى يوحنا أصدر أوامره بقتل هؤلاء الرجال الخمسة والزحف على مدينة يونكي، وسارع القادة البيزنطيون في زحفهم حتى تمكنوا من الاستيلاء عليها، والسيطرة على ساحلها بعد أن قام كاركاسان وأنتالاس بتفكيك خيام معسكريهما من هذه المنطقة، وانسحبا إلى الجبال المحيطة بها، وبدأ يقيمان خنادقهما فوقها كما أمر القائد يوحنا بتجميع السفن في ميناء لاريسكوس (Lariscus)، وتوزيع المؤن على جميع أنحاء المعسكر، ومن المرجح أن يكون مكان هذا الميناء قريباً من هذه المدينة ثم أمر بتحريك جيشه من المنطقة الساحلية إلى حقول كاتو (Cato)[1]، ويطلق عليها بعض الباحثين حقول كاتون (Caton)[2]، وبنوا معسكرهم فيها وقاموا بتحصين تلك المنطقة، وفي تلك الأثناء حصل القائد كاركاسان على نبوءة من الإله أمون توحي بأنه سيدخل قرطاجة منتصراً الأمر الذي ساعده على توحيد القبائل الليبية[3]، وزيادة حماسهم لمحاربة البيزنطيين، وكان رجال القبائل الليبية وخاصة رجال قبائل مارماريكا يضحون بماشيتهم ويقدمونها قرابين للإله قورزيل (قرزل) والإله أمون، وكان بعض من القبائل الليبية يعبدون الإله ماستيمان (Mastiman) والإله سينيفير (Sinifere)، ويرجح أنهما إلٰها الحرب عندهم، وكان القائد يوحنا على الطرف الآخر يقوم بتقسيم الجيش البيزنطي إلى قسمين حيث أمر القائدين بوتزينتولوس (Putzintutus) وجييسيريت (Geisirith) وجنودهما أن ينضما إلى القائد كوسينا، والقائدين سيندويت (Sinduit) وفرونيموث (Fronimuth) وجنودهما إلى معسكر أفيسداياس (Ifisdaias)، وبدأ الجنود البيزنطيون يسيرون وراء ألويتهم في صفوف منظمة

---

(1) المصدر نفسه، ص172 – 180.

(2) شارل جوليان، مرجع سابق، ص372.

(3) عبدالحفيظ الميار، مرجع سابق، ص89.



حتى وصلوا إلى السهول الفسيحة، حيث تقيم القبائل الليبية المتحالفة، وسرعان ما اندلعت المعركة بين الطرفين، واستخدمت فيها العديد من الأسلحة مثل السيوف والرماح والحراب والسهام[1]، ويرى بعض الباحثين أن هذه المعركة وقعت بالقرب من سبيطلة في تونس الحالية[2] في أوائل سنة 548م[3].

تمكن القائد يوحنا في بداية المعركة من قتل وجرح ما يقرب من 20 من قادة وجنود القبائل الليبية، فاضطرت قبائل النسامونيس ومارماريكا إلى الانسحاب لإعادة تنظيم صفوفهم، واستطاع قائد قبائل النسامونيس إعادة تشكيل صفوف جنوده والهجوم على أسفين (Asfen)، حيث كان القائد كوسينا يستعد مع جنوده والقبائل المتحالفة معه لدخول المعركة، وتمكن من تضييق الخناق عليهم، وقتل أعداداً كبيرة منهم، وانضمت إليه قبائل لواتة وتمكنوا من هزيمة البيزنطيين في هذا الاشتباك فأخذت قواتهم تتقهقر عبر السهول، ومعهم أبرز قادتهم وهم: كوسينا وبوتزينتولوس وجييسيريت، وعندما علم القائد يوحنا بهذه الهزيمة اندفع إلى ميدان المعركة ولما شاهد القادة البيزنطيون وجنودهم القائد يوحنا قادماً إليهم استعادوا حماسهم، وعادوا إلى المعركة، وتمكن القائد بوتزينتولوس من قتل خمسة من أبرز قادة القبائل الليبية، ولكنه أصيب برمح أودى بحياته[4].

كما تمكن القائد يوحنا وجنوده الذين كان من بينهم ابنه بيتر (Peter) من قتل وجرح أربعة وثلاثين رجلاً من القبائل الليبية، وكان القائد السرتي ألتيليماس (Altilimas) من بينهم، كما قتل في هذه المعركة العديد من الجنود مجهولي الأسماء من الطرفين، وفي تلك الأثناء كان قائد القبائل الليبية كاركاسان ومعه

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 185 - 190.

(2) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.

(3) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 372.

(4) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 188 - 194.



الآلاف من جنوده يتقدم في وسط الجنود البيزنطيين، فقام القائد يوحنا بمهاجمته بغتة بحربته الطويلة، فأصابه بجرح عميق أودى بحياته، وكان مقتله سبباً في تحطيم صفوف قبائل مارماريكا وفرارها من المعركة، كما عمت الفوضى صفوف قبائل النسامونيس بعد أن اختلط الفرسان بالمشاة، ولم يعد قائدها يثق بها، وأخذت تلوذ بالفرار، ومضت الفرق البيزنطية في أعقابها، ويرجح أن قائدها هو أنتالاس، وكان مقتل كاركاسان أيضاً سبباً في هزيمة قبائل لواتة[1].

ويبدو أن سبب هزيمة القبائل الليبية هو اعتقادهم العميق بأن الإله أمون سيحقق النصر لكاركاسان حسب نبوءة هذا الإله، ولهذا زال الاعتقاد بمقتله الذي كان سبباً في انتشار الفوضى والاضطرابات في صفوفهم، وهروبهم من المعركة، بالإضافة إلى عدم وجود قائد آخر يتولى قيادة الجيش في حالة قتل قائدهم.

وبذلك كانت نهاية ثورة القبائل الليبية وساد الاستقرار ولاية أفريقيا بعد هذه الحرب مدة خمسة عشر عاماً، ثم أخذت الإمبراطورية البيزنطية في تقتيل عملائها من أهالي شمال أفريقيا الذين لم تعد في حاجة إليهم، فكانت سبباً في تمرد قبائل نوميديا التي استمرت ثورتهم حتى تمكن القائد مارسيان (Marcien) ابن أخ الإمبراطور جستنيان من هزيمتهم[2].

ويبدو أن البيزنطيين لم يتمكنوا من القضاء نهائياً على قبيلة لواتة، لأنها استمرت في هجماتها على البيزنطيين في مدينة لبدة الكبرى، وكانت سبباً في إضعافهم والقضاء على الحياة العامة فيها، ولعل ما يؤكد ذلك عدم ذكرها أثناء الفتح الإسلامي لليبيا لأنها لم تكن آهلة بالسكان في سنة 643م[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص194 – 200.

(2) شارل جوليان، مرجع سابق، ص372.

(3) جود تشايلد. ر.ج، مرجع سابق، ص226.

النتائج التي توصلت لها الدراسة لثورة القبائل الليبية في مدينة لبدة الكبرى ضد الوجود البيزنطي في زمن الإمبراطور جستنيان الأول (527 - 565م)



- كانت الثورة المحلية التي قادها بدنتيوس لها الدور الأول في تحرير المدن الثلاث من السيطرة الوندالية، وخاصة مدينة لبدة الكبرى.

- اهتم الإمبراطور جستنيان بمدينة لبدة الكبرى بعد هزيمة الوندال حيث قام ببناء السور المحيط بها من أسسه الذي دمره الوندال أثناء سيطرتهم عليها، كما قام بتضييق دائرة أسوارها بسبب زحف الرمال التي غطت جزءًا منها.

- اتبع البيزنطيون سياسة صارمة وقاسية ضد القبائل الليبية، وخاصة في جباية الضرائب الباهظة التي فرضها الإمبراطور جستنيان التي جعلت السكان المحليين يزدادون إرهاقاً منها وحقداً على الحكم البيزنطي.

- تدهور الوضع الاقتصادي في مدينة لبدة الكبرى أثناء السيطرة البيزنطية حتى عجزت عن عدم توفير المؤن الكافية لجنودهم الأمر الذي دفعهم إلى سرقة المحاصيل الزراعية التي تملكها القبائل الليبية كما يدل على عجز الإمبراطورية البيزنطية عن تسديد نفقات ورواتب الجنود، الأمر الذي جعلهم يتمردون عليها، ويتحالف بعضهم مع القبائل الليبية.

- كانت المذبحة الغادرة التي تعرض لها وجهاء قبائل لواتة في مدينة لبدة الكبرى على يد البيزنطيين من أهم الأسباب لقيام ثورة القبائل الليبية ضدهم.

- ضعف الحكام والقادة العسكريين البيزنطيين في مدينة لبدة الكبرى خاصة وولاية أفريقيا عامة، وعدم قدرتهم على إيقاف هجمات القبائل الليبية،

وخاصة في بداية هذه الثورة من أهم الأسباب التي جعلتهم يتعرضون للعزل من قبل الأباطرة والقتل من جنودهم.



- تمكنت القبائل الليبية من إضعاف الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى، ثـم القضـاء عليه نهائيـاً وخاصة فـي بداية الثـورة، ولعل ما يؤكـد ذلك أن القبائـل الليبية لم تتعرض للهجوم أو التصدي من قبل القوات البيزنطية في هـذه المدينة عندما عبرت إقليم المـدن الثلاث أثناء تقدمها في اتجاه مدينة قرطاجة الرومانية.

- مشاركة معظم القبائل الليبية في هذه الثورة ضد الوجود البيزنطي يدل على اللحمـة الوطنيـة وحبهـا للحريـة وكرهها للغـزو والظلم والعـدوان وكانت للقبائل الليبية قوة قتالية كبيرة حيث تمكنت من هزيمة البيزنطيين في العديد من المعارك والاشتباكات، كما تمكنت من قتل سولومون (سليمان) الحاكم العسكري لولاية أفريقيا والعديد من القادة الميدانيين وجنودهم وخاصة في المراحل الأولى لهذه الحرب.

- اسـتخدمت القبائل الليبية الجمال في المعارك التي خاضتها ضد البيزنطيين لأنهـا كانت تسـتطيع عبـور الرمال التي عجـزت الحيوانـات الأخرى على اختراقهـا، وتحمـل العطـش والجـوع لمدة طويلـة، كما أن اسـتخدامها في الحرب ليس الاحتماء بها ولكنها خطة حرب اتبعتها القبائل الليبية وخاصة قبائـل لواتـة منذ القرن الخامـس الميلادي في حروبهم ضـد الوندال بقيادة كابـاون؛ لأن الخيـول كانت تخشـى الجمال ويـذب الذعر فـي قلوبها مما يؤدي إلى سقوط الفرسان البيزنطيين على الأرض فتكون سبباً في هزيمتهم.

- اعتقـاد القبائـل الليبيـة بأن الإله أمون سـيحقق لهم النصر علـى البيزنطيين، ولهذا حمل قادتهم رمز هذا الإله في المعارك ضد البيزنطيين وكانت أسباب

هزيمـة القبائـل الليبيـة بقيـادة كاركاسـان اعتقادهـم العميق بـأن الإله أمون سـيحقق النصر لكاركاسان حسـب نبوءة هذا الإله، ولهذا زال هذا الاعتقاد بعـد مقتلـه، فانتشـرت الفوضـى والاضطرابـات فـي صفوفهـم، وهروبهـم وهزيمتهم في المعركة بالإضافة إلى عدم وجود قائد أخر يتولى قيادة جيوش القبائل الليبية في حالة مقتل القائد الأول.

- اسـتمرت هجمات القبائل الليبية على الوجود البيزنطي وخاصة قبائل لواتة بعـد نهاية هذه الثورة، فكانت سـبباً فـي إضعافهم والقضـاء على وجودهم وخاصـة في مدينـة لبدة الكبرى، ولهـذا لم يتم ذكر فتح هـذه المدينة أثناء الفتوحات الإسلامية في سنة 643م؛ لأنها لم تكن آهلة بالسكان.





قائمة المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر الكلاسيكية:

1 ـ Procopius, VII, Buidings, Translation By: H. B. Dewing, L. C. L. Willliam heinemenn Ltd., London. 1971.

ثانياً ـ المصادر المعربة: ـ

1 ـ سترابون، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر) ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2003.

2 ـ فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة: محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

ثالثاً ـ المراجع العربية: ـ

1 ـ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط 1، 1971م.

2 ـ أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط 1، 1993م.

3 ـ ـــــــــــ، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، منشورات جامعة التحدي، سرت، ط 1، 2008م.

4 ـ رجب عبد الحميد الأترم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 3، 1998م.

5 ـ سيد أحمد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والاقتصادي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1977م.

6 ـ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية 323 - 1081م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982م.

7 ـ عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط 1، 2001م.

8 ـ عبداللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1971م.

9 ـ علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط 2، 1975م.

10 ـ عياد مصطفى أعبيليكة، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي منذ زمن الإمبراطور قسطنطين الأول حتى قبيلة الفتح العربي الإسلامي، (306 - 462) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، 2006م.

11 ـ محمد محي الدين المشرفي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 2، 1957م.

12 ـ محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جستنيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.

13 ـ نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية دارسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969م.

14 ـ فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284 - 1453م) المكتبة العلمية، المنصورة، 2000م.



رابعاً ـ المراجع الأجنبية المترجمة: ـ

1 ـ أ.ف. غويتية، ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني، طرابلس، ط 1، 1970م.

2 ـ اندرية لاروند، برقة في العصر الهليسنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2002م.

3 ـ جود تشايلد، ر. ج، دراسات ليبية، ترجمة: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م.

4 ـ د.ح. ماتينقلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2009م.

5 ـ شارل اندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس الجزائر المغرب) الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي، 647م، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 3، 1978م.

خامساً ـ المراجع الأجنبية: ـ

1 _ Jones. A. H. M. (Frontier Defence in Byzantine Libya) Libya in History, Historical Conference 16-23 March 1968.